الباب الثاني
غزوة بني قريظة

الفصل الأول

الفصل الأول

انقضت حشود الأحزاب حول المدينة المنورة ، وعادت القبائل إلى ديارهم على غير رجعة ، ولم يحملوا معهم إلا الفشل والخيبة والخزي والندامة .

والحمد لله قد هزم الأحزاب وحده بعد أن زاغت أبصار المؤمنين وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون.

لأن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر بل كانت معركة أعصاب لم يحدث فيها قتال مرير إلا أنها كانت من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام .. فلولا فضل الله ورحمته بالمؤمنين وإرسال ريح وجنود من الملائكة لكان قد تغير الوضع تماماً ثم تأتي بعد ذلك غزوة بني قريظة أولئك الفئة الباغية التي هددت أمن البلاد وجعلتها في خطر بسبب نقضهم العهد مع رسول الله ﷺ فكان الأمر من الله أن تزال هذه الطائفة الجاثية على الفور إذ كان من الممكن أن يفكر الرسول ﷺ فيما بعد ماذا يفعل بهم أيطردهم من المدينة كما حدث لبني قينقاع وبني النضير أم ماذا يفعل ؟ ولكن حكم الله عزوجل من فوق سبع سموات أن تستأصل الفئة الخائنة من جذورها ولا يبقى منهم إلا النساء والأطفال والذراري ،

وهذا ما سنحاول عرضه في هذا الباب .

المشهـــد الأول

حصار بني قريظة في حصونهم

وفي اليوم الذي رجع فيه رسول الله ﷺ إلى المدينة وقت الظهر فصلى بالناس الظهر ثم دخل بيت عائشة ودعا بماء فاغتسل .. ووضع سلاحه وجلس ليستريح . إذ بالباب منادٍ ويقول :

عذيرك من محارب " أي من يغدرك " :

فارتاح لذلك رسول الله ﷺ ووثب وثبة شديدة وخرج وخرجت عائشة في أثره فإذا رجل على دابة ..

الرسول ﷺ يقول :

مرحبًا بجبريل .

جبريل عليه السلام :

أو قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟

الرسول ﷺ يقول :

نعم يا جبريل .

جبريل عليه السلام :

والله ما وضعت السلاح ولا وضعت الملائكة أسلحتهم .فانهض بمن معك إلى بني قريظة .

الرسول ﷺ يقول :

الآن يا جبريل .

جبريـــل عليه السلام:

إن الله يـأمرك يـا محمـد بالمسير إلى بـني قريظـة فـإني عائـد إلـيهم فمزلـزل بهـم الحصون وأقذف في قلوبهم الرعب .

رســـول الله ﷺ :

إن في أصحابي جهداً فلو نظرتهم أياماً .

جبريـــل عليه السلام :

انهـــض إلـــيهم فـــإني ذاهـــب أمـــامكم ومعـــي كوكبـــة مـــن الملائكـــة ودخـــل الرسول ﷺ داره .

عائشـــة أم المؤمنيـــن :

من ذلك الرجل الذي كنت تكلمه يا رسول الله ؟

رســـول الله ﷺ :- ورأيته ؟

عائشـــة :- نعم رأيته .

رســـول الله ﷺ :- بمن تشبهينه ؟

عائشـــة :- بدحية الكلبي إنه هو .

رســـول الله ﷺ :

ذاك جبريـل عليه السلام أمرنـي أن أمضـي إلى بـني قريظـة ، أيـن بـلال ليـؤذن في النـاس " من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة .

عبـد الله بـن أم مكتـوم :

يا خيل الله اركبي " أي يا فرسان الله اركبي ".

رســـول الله ﷺ ينـــادي :

يا علي بن أبي طالب خذ اللواء . وليمكث عبد الله بن أم مكتوم خليفة على المدينة .

وسار المسلمون إلى حصن بني قريظة وغرز اللواء عند اصل الحصن .

كعب بن أسد القرظي :

ما محمد إلا رجل مشئوم من يوم أن أتى إلى يثرب لم نر يومًا واحدًا حلوًا..

وسب نساء الرسول ﷺ .

علي بن أبي طالب :

السيف بيننا وبينكم . أمسك باللواء يا أبا قتادة الأنصاري حتى أرجع لرسول الله ﷺ حتى لا يسمع هذا الكلام القبيح من اليهود فيساءُ منه .

رسول الله ﷺ :

السلام عليكم .

علي بن أبي طالب :

يا رسول الله لا عليك أن تدنو من هؤلاء الأحابش .

رسول الله ﷺ :

لعلك سمعت منهم لي أذى .

علي بن أبي طالب :- نعم يا رسول الله .

رسول الله ﷺ :

لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئًا .

رسول الله ﷺ " يدنو من حصونهم ويقول " :

يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟

أتشتموني ؟

كعب بن أسد القرظي :

والله يا رسول الله ، ما قلنا ذلك .

شمويل بن زيد : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً.

أسيد بن حضير :

يا أعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعًا إنما أنتم بمنزلة ثعلب في جحر

عزال بن شمويل :

يا بن الحضير نحن مواليك فلا تقْسُ علينا .

أسيد بن حضير :

لا عهد بيني وبينكم وكيف يكون بيني وبينكم عهد وقد نقضتم عهد رسول الله ﷺ ولم تكتفوا بذلك بل تآمرتم على سلامة البلاد .

أبو بكر الصديق :

يا رسول الله نحاصرهم حتى يقضي الله فيهم أمرًا .

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

يا رسول الله لقد صلى بعضنا العصر في الطريق وهم يتحرجون من ذلك لأنهم لا يعرفون هل خالفوا أمرك يا رسول الله حين قلت لا يصلي أحدكم العصر إلا في بني قريظة ؟

سعد بن عبادة :

يا رسول الله لقد صلينا وأخذنا أمرك على الإسراع وخفنا أن يخرج وقتها فصلينا

رسول الله ﷺ " صامت لا يتكلم " :-

وقد أقر عليهم ذلك.

أسيد بن حضير :

يا رسول الله ، نحن جماعة لم نُصَلّ العصر حتى فات وقتها ، هل في ذلك شيء ؟

رسول الله ﷺ " صامت لا يتكلم "

علي بن أبي طالب :

والله إن كنا قد فعلنا خطأ لعابنا الله عز وجل في كتابه الكريم ولعابنا الرسول ﷺ في ذلك ولعنفنا على ما فعلنا .

المشهد الثاني

لوم بني قريظة لأنفسهم

استمر حصار بني قريظة من المسلمين وهم ثلاثة آلاف والخيل ثلاثون فرسًا فوصلوا حصون بني قريظة وفرضوا عليهم الحصار.

وكان حيي بن أخطب قد دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاءً لكعب بن أسد، فلما جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وأيقنوا أن رسول الله ﷺ لن يتركهم هذه المرة واشتد عليهم ذلك فأخذوا يتشاورون.

كعب بن أسد :

يا بني قريظة يا معشر يهود قد نزل بكم ما ترون وإني عارض عليكم ثلاث خصال. فخذوا أيها شئتم.

عمرو بن سعدي :

وما هذه الخصال يا زعيم بني قريظة.

كعب بن أسد :

أولاً : نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم.

قردم بن كعب :

وما الذي منعنا أن نتبعه من بادئ الأمر إنه نزل يثرب منذ خمس سنين فلما زُرنا لم نبادر بالذهاب إليه ونحن نعرف أنه مكتوب في كتبنا بوصفه واسمه

كعب بن أسد :

والله ما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يكن من بني إسرائيل ولقد كنت كارهًا لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس " حيي بن أخطب " .

الحارث بن عوف :

والله إنه لنذير شؤم فقد كنا في حالنا لا نريد نقضًا لعهد ولا غيره .

نافع بن أبي نافع :

والله إننا جميعًا نكره حيي بن أخطب فهو سبب تدمير اليهود بغبائه وكبريائه .

كعب بن أسد :

أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم إنه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارًا وتكونوا آمنتم بالكتاب الأول والآخر .

وهب بن يهوذا " وكثير من الجالسين في صوت واحد ":

والله لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدله بغيره .

كعب بن أسد " في يأس :

أما الثانية . وقد أبيتم الأولى فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا نسلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً يخشى عليه وإن نظفر فلعمري لنجدن النساء والأبناء !

جبل بن أبي قشير :

ماذا تقول يا كعب تقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ فوالله لن يحدث ذلك .

حيي بن أخطب :

لا تفعلوا هذا يا كعب ، فمن يطيق أن يقتل ولده ؟

عدي بن زيد :

اسكت أنت يا نذير الشؤم وكبير الهم ، فما نحن فيه من ورطة الآن فهو بسبب شؤمك .

قردم بن كعب :

وما الأمر الثالث يا كبير بني قريظة يا من تركنا لك زمام الأمور فأدخلتنا المهالك ؟

كعب بن أسد :

فطالما أبيتم عليَّ هذه أيضًا فعليكم بالثالثة ..

نافع بن أبي نافع :

أخبرنا عنها لعلها تكون هي المخرج مما نحن فيه .

كعب بن أسد :

إن الليلة ليلة السبت وإن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة .

وهب بن زيد :

ماذا تقول يا كعب نشد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من علمت وأصابه ما لم يخف عليك .

عدي بن زيد :

تقصد يا أخي إخواننا الذين مسخهم الله قردة وخنازير حينما نهاهم الله عن اصطياد الحيتان يوم السبت فحفروا حيضانًا لتقع فيها الحيتان يوم السبت ويصطادوها يوم الأحد ففعل بهم الله ما فعل .

وهب بن زيد :

ومن غيرهم ؟ إن كعب بن أسد بعد ما أوقعنا في هذه الورطة يريد أن يحولنا إلى قردة وخنازير فتعيرنا الناس أكثر مما يعيروننا من نقض العهود والمسخ واللعن إلخ ما يقولونه .

عمرو بن سعدي :

يا قوم ألم أذكركم بما رأيته في منامي قبل أن تنقضوا العهد ؟ ووالله لو كنت معكم يومها ما نقضنا العهد أبدًا .

وهب بن زيد :

وماذا رأيت في منامك يا عمرو بن سعدي ؟

عمرو بن سعدي :

يا بني قريظة لقد رأيت عبرًا ، رأيت دار إخواننا خالية بعد ذلك العز والخلد والشرف والرأي الفاضل والعقل . تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل . لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة .

جبل بن أبي قشير :

نعم يا عمرو فالله قد أوقع ببني قينقاع وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم ، فكلم فيهم نتركهم على إجلائهم من يثرب .

كعب بن أسد :

يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمدًا فوالله إنكم لتعلمون أنه نبي وقد بشرنا به علماؤنا .

وهب بن زيد :

نعم يا كعب ، تريد أن تورطنا ثانية وثالثة ؟

عمـــرو بـــن سعـدي :

يا قوم ، إنه للحق فهيا بنا نؤمن بمحمد إيمانًا صادقًا فإنه النجاة وفي غيره الهلكة .

يـا كعـب بـن أسـد: والتـوراة الـتي أنزلـت على موسـى ﷺ يـوم طـور سـيناء إنـه للغزو الشرقي في الدنيا .

يـا قـوم : قـد خـالفتم محمـدًا فيمـا خـالفتموه ولم أشـرككم في غـدوكم فـإن أبيـتم أن تـدخلوا معـي فـاثبتوا علـى اليهوديـة وأعطـوا الجزيـة ، فـوالله مـا أدري يقبلـها محمد أم لا .

وهـــب بـن زيـد :

نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه ، القتل خير من ذلك .

عمـــرو بـن سعـدي :

فإني بريء منكم ، وخرج عمرو بن سعدي وتركهم يواجهون مصيرهم .

المشهد الثالث

" بنو قريظة يحاربون الرسول ﷺ "

مرت الأيام ويهود بني قريظة في الحصون وقد استمر المسلمون في حصارهم، وبدأت المؤن تنفد ووجعت القلوب فالموت جوعًا يهدد الذين فجروا في عهدهم وانقادوا إلى حيي بن أخطب المشئوم وقد تركهم عمرو بن سعدي وخرج فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة .

محمد بن مسلمه :

من هذا ؟

عمرو بن سعدي :

أنا عمرو بن سعدي .

محمد بن مسلمة :

مُر اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام إلى أين أنت ذاهب يا عمرو.

عمرو بن سعدي :

أنا ذاهب إلى حال سبيلي وأترك بني قريظة يواجهون مصيرهم فوالله لقد نصحتهم فما سمعوا نصيحتي وغاب عمرو بن سعدي في سواد الليل ثم وجدت رمته .

وأخبر رسول الله ﷺ خبره فقال :

هذا رجل نجاه الله بوفائه .

نباش بن قيس " يمر بحرس رسول الله ﷺ " :

يا بن مسلمة أين محمد الآن .

محمد بن مسلمة :

ولماذا يا نباش بن قيس تريد الرسول الآن ؟

نباش بن قيس :

لقد أرسلني إليه يهود بني قريظة كي أعرض عليه أمرًا هامًّا .

محمد بن مسلمة :

وما هذا الأمر المهم حتى أبلغه رسول الله ﷺ ؟

نباش بن قيس :

لقد أرسلوني حتى أقول له يسمح ليهود بني قريظة أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة " السلاح ".

محمد بن مسلمة :

قف هنا حتى أخبر رسول الله ﷺ بهذا الخبر وأبلغك بالنتيجة .

نباش بن قيس :

لعله أن يوافق على ذلك ونحقن دماءنا .

محمد بن مسلمة :" وقد خرج من عند رسول الله ﷺ "

يا نباش إن رسول الله ﷺ يأبى أن يحقن دماءكم مطلقًا .

نباش بن قيس :

ولم يا محمد بن مسلمة ؟ ونحن لا نطمع إلا أن نكون مثل بني النضير.

محمد بن مسلمة :

أنسيتم ما فعلتم من خيانة وعرضتم أمن الدولة للهلاك والدمار.

نباش بن قيس :

سوف أعود إلى بني قريظة لأبلغهم بذلك ..

وعاد نباش إلى يهود بني قريظة وأخبرهم بذلك .

كعب بن أسد القرظي " في حزن شديد " :

ألم أقل لكم إن محمدًا لن يحقن دماءنا فكان الخير لنا أن نسلم .

شمويل بن زيد :

الأفضل أن نفكر لنا في حيلة للخروج من هذا المأزق والفرار بأجسادنا وأولادنا على الأقل .

كعب بن اسد :

مالي أرى الرعب قد خيم علينا جميعًا أما لو أرسلنا إلى محمد أن يتركنا نخرج دون الأموال ونترك لهم كل شيء .

شمويل بن زيد :

نعم إنها فكرة صائبة لعله أن يقتنع بها اذهب يا نباش وأخبره بذلك .

وعاد نباش بن قيس إلى قبة رسول الله ﷺ .

محمد بن مسلمة :

ما الذي أتى بك مرة ثانية يا نباش ؟ ألم أخبرك بأن رسول الله ﷺ لم يوافق على عرضكم ؟

نباش بن قيس :

لقد أتيت هذه المرة لأخبر محمدًا بفكرة وعرض آخر لعله أن يوافق.

محمد بن مسلمة :

وما هذا العرض ؟

نباش بن قيس :

أخبره أنه لا حاجة لهم بشيء من الأموال لا من الحلقة ولا من غيرها.

محمد بن مسلمة :

سوف أخبره بذلك ، ثم عاد وقال :

إن رسول الله ﷺ لم يوافق على ذلك ويأبى إلا أن تنزلوا على حكمه.

نبـــاش بـــن قيـــس :

يا ويلنا .. يا ويلنا .. إن ما سيحدث لنا لا يعلمه إلا الله .

وعـاد نبـاش بـن قـيس إلى حصـن بـني قريظـة وقـد نكـس رأسـه وظهـر في وجهـه أسى وحزن شديدين **وقـال في أسـى :**

ويلكـم يـا بـني قريظـة إن محمـدًا لم يوافـق علـى أي شـيء مـن هـذا وأبـى إلا أن ننزل على حكمه .

نافـــع بـــن أبـــي نافـــع :

وما حكمه ؟ هل سنقتل ؟

الحـــارث بـــن عـــوف :

الويل لنا ، ماذا أنتم فاعلون يا بني قريظة ؟ ماذا أنتم فاعلون يا سادات بني قريظة ؟

إننا قد تعلقنا بكم ومشينا خلفكم فهل من منقذ بينكم الآن .

شمـــويل بـــن زيـــد :

اهدأوا يا قوم ، علينا أن نهتدي إلى طريقة نخرج بها من هذا المأزق .

نبـــاش بـــن قيـــس :

لا تقولـوا إننـى سـوف أذهـب إلى محمـد مـرة ثانيـة ، أيـن عبـد الله بـن أبـي بـن سلول ليذهب هو . أو أي واحد من المنافقين ؟ ارسلوه إليه .

كعـــب بـــن أســـد :

اذهب إليه هذه المرة يا نباش .

نبـــاش بـــن قيـــس : ولـــماذا ؟

كعـــب بـــن أســـد :

قـل لمحمـد أن يرسـل لنـا أبـا لبابـة كـي نستشيره فإنـه كـان مناصـحًا لنـا وكـان ولده وعياله عندنا دائمًا في الجاهلية قبل مجيء محمد .

نبـــاش بـــن قيـــس :

إني ذاهب لعله أن يرسله إليكم .

المشهد الرابع

أبو لبابة ويهود بني قريظة

أرسل بنو قريظة إلى الرسول ﷺ أن يرسل لهم أبا لبابة حتى يستشيروه في الأمر أينزلون على حكم محمد ؟ أم ماذا يفعلون ؟ فبعد أن رفضوا الخصال الثلاث التى عرضها عليهم كعب بن أسد وكذلك رفض الرسول ﷺ أن يخرجوا من المدينة كما فعل يهود بني النضير. ولم يبق لقريظة بعد ذلك إلا النزول على حكم رسول الله ﷺ لكنهم أرادوا أن يتصلوا ببعض حلفائهم من المسلمين لعلهم يتعرفون ماذا حلفائهم سيحل بهم إذا نزلوا على حكمه وكان حليفًا لهم وكانت أمواله وولده في منطقتهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش النساء والصبيان يبكون في وجهه من شدة الحصار وتشتيت مالهم ، فرق قلبه لما حدث لهم . .

كعب بن أسد :

يا أبا بشير قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه ، فلو زل عنا وتركنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نرجع له مرة ثانية ولم نكثر عليه جمعًا أبدًا ولم نأخذ معنا أي مال أو عقار..

أبو لبابة بن عبد المنذر :

يصمت ويسكت . لا يستطيع أن يتكلم .

محمد بن أسد :

ما ترى يا أبا لبابة قد اخترناك على غيرك حتى تنصحنا لما بيننا وبينك . أننزل على حكم محمد ؟

أبو لبابة : نعم فانزلوا .

محمد بن أسد :

ماذا ترى أنه فاعل بنا يا أبا لبابة ؟

أبو لبابة بن عبد المنذر :

يشير إلى حلقه بالذبح .

جبل بن أبي قشير :

ألم أقل لكم إن محمداً سوف يذبحنا جزاء خيانتنا ؟

أبو لبابة " يقول لنفسه " :

والله لقد أفشيت سر رسول الله ﷺ كما فعل هؤلاء فماذا أفعل ؟

إنا لله وإنا إليه راجعون .. إنا لله وإنا إليه راجعون

ماذا فعلت يا أبا لبابة لقد لحق بك الخزي والقهر ليتك لم تأت إلى هؤلاء اليهود اليوم . وليتك لم تكن لهم صاحبًا ولا رفيقًا بالأمس ..لقد فعلت مثل ما فعلوا فماذا أنت فاعل ..

كعب بن أسد :

مالك يا أبا لبابة ؟

أبو لبابة " في صوت خافت "

خنت الله ورسوله .. خنت الله ورسوله . وأخذ يبكي ثم انطلق على وجهه وعاد إلى المدينة المنورة فلم يرجع إلى بيته وإنما عاد إلى المسجد وهو يحدث نفسه:

ماذا فعلت يا أبا لبابة ؟ إن النار التي بداخلك وفي جوفك لهي أشد حرًّا من حرارة هذا الجو إنها تلسعني وتعذبني عذابًا شديدًا . جزاء خيانة رسول الله ﷺ . وقال في نفسه أنا أربط نفسي في عمود بالمسجد حتى يعفو عني رسول الله ﷺ .

أبــو بكــر الصديــق :

لماذا تربط نفسك يا أبا لبابة في عمود المسجد ؟

أبــو لبابــة :

واللّه لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت أو يتوب اللّه علي مما صنعت .

أبــو بكــر الصديــق :

ماذا فعلت يا أبا لبابة حتى تريد التوبة من اللّه ؟

أبــو لبابــة :

أعاهد اللّه أَلاَّ أذهب إلى بني قريظة أبدًا ولا أخون اللّه ورسوله أبدًا .

أبــو بكــر الصديــق :

أما لو فككت وثاقك من العمود يا أبا لبابة ؟

أبــو لبابــة :

واللّه لن يفك هذا الوثاق إلا رسول اللّه ﷺ.

أبــو بكــر الصديــق :

ألا أعلمت رسول اللّه ﷺ .

أبــو لبابــة :

لقد ذهبت إلى اليهود وحدث ما حدث ولكني لم أذهب إلى رسول اللّه ﷺ .

عبــد الله بــن أم مكتــوم :

لقد انتظرك رسول اللّه ﷺ كثيراً فلم ترجع واستبطأ عودتك إليه وسأل عنك فأخبره بعض الصحابة بخبرك وماذا فعلت .

أبــو لبابــة :

وماذا قال رسول اللّه ﷺ في شأني .

عبد الله بن أم مكتوم :

لقد قال رسول الله ﷺ : لو جاءني لاستغفرت له ، وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه .

أبو لبابة :

والله لأظل مربوطًا في العمود بالمسجد حتى يأتي الرسول ﷺ ويفكني وتكون توبتي قد قبلها الله .

زوجة أبي لبابة بن عبد المنذر :

إلى متى ستظل مربوطًا في المسجد يا أبا لبابة ؟

أبو لبابة :- إلى أن يتوب الله علي .

زوجته :

ألا تأكل ولا تشرب يا أبا لبابة خذ هذا الطعام والشراب حتى تستطيع أن تقيم صلبك وتصلي .

أبو لبابة :

هات ، سوف أكل وأشرب وأسأل الله أن يتوب عليّ

زوجته :

من بهذه الخيمة المجاورة لك بالمسجد يا أبا لبابة .

أبو لبابة بن عبد المنذر :

إنها لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة تداوي الجرحى الذين جرحوا في غزوة الأحزاب تحتسب ذلك عند الله .

زوجته :- ومن الذي تداويه هناك ؟

أبو لبابة :

إنه سيد الأوس سعد بن معاذ قد أصيب بسهم في أكحل قدمه وهو يعاني منه .

زوجته :- شفاه الله عزوجل وتاب عليك يا أبا لبابة .

الفصل الثاني

الفصل الثاني

اشتد الحصار على بني قريظة وقذف الله في قلوبهم الرعب وأخذت معنوياتهم تنهار وبلغ هذا الانهيار إلى نهايته أن تقدم علي بن أبي طالب ، والزبير ابن العوام وصاح علي بن أبي طالب : يا كتيبة الإيمان والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأقتحمن حصنهم .

وما كان أمام يهود بني قريظة إلا أن يسلموا أو يموتوا جوعًا فنزلوا على حكمه ﷺ فأمر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا سبعمائة وخمسين مقاتلاً. وأخرج النساء والذرارى من الحصون وجعلوا ناحية وكانوا ألفًا واستعمل عليهم عبد الله ابن سلام .

وتذكر الأوس أن رسول الله ﷺ قد وهب بني قينقاع لعبد الله بن أبي ابن سلول بعد أن نزلوا على حكمه ﷺ فطمعوا في أن يهب إليهم حلفاؤهم .

فهل فعل رسول الله ﷺ ذلك أم ما هو مصير بني قريظة المحتوم .
هذا ما سوف نعرفه في هذا الفصل إن شاء الله

المشهـــد الأول

حكم سعد بن معاذ فيهم

طلبت الأوس من رسول الله ﷺ أن يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج ولكن شتان بين جريمة بني قينقاع وجريمة بني قريظة ، لقد سخر بنو قينقاع بامرأة مسلمة بينما تآمر بنو قريظة على أمن الدولة ولولا لطف الله لاستأصلت الأحزاب الإسلام والمسلمين .

رجل من الأوس :

يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا ، وقد وقعوا في هذا الأمر وتورطوا بسبب حيي ابن أخطب زعيم بني النضير الذي طرد سابقًا من المدينة إلى خيبر ولكنه لم يَعِ الدرس جيدًا .

علي بن أبي طالب :

وماذا تريدون يا جماعة الأوس من رسول الله أن يفعل ؟

رجل من الأوس :

تريد أن يفعل بهم كما فعل في موالي إخواننا الخزرج بالأمس ما قد فعل وأجلاهم عن المدينة فهؤلاء موالينا نرجو الإحسان فيهم .

رسول الله ﷺ :

أما ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟

رجل من الأوس :

بلى يا رسول الله ، نريد أن يحكم فيهم رجل منا نحن الأوس .

رســـول الله ﷺ :

يا بني قريظة اختاروا من شئتم من أصحابي .

كعـب بـن أسـد :

ننزل على حكم سعد بن معاذ ؟

علـــي بـن أبي طالب :

أترضون جميعكم على حكم سعد بن معاذ .

وهـب بـن يهـوذا :

نعم نرضى جميعًا بحكم سعد بن معاذ .

رســـول الله ﷺ :

فذاك ، إلىٰ سعد بن معاذ .

علـــي بـن أبـي طالـب :

فليـذهب واحـد مـن المسلمين إلى سـعد بـن معـاذ ليـأتي بـه مـن مسـجد رسـول الله ﷺ . فهو في خيمة رفيدة .

رجـــل مـــن الأوس :

أنا سوف أذهب إليه وآتى به على حمار، وقد وضعوا له وسادة .

رجـل مـن الأوس :

يا أبا عمرو أحسن في مواليك . فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ...

رجـــل مـــن الأوس :

وكيـف لا يحسـن فـيهم وقـد رأى مـا فعلـه ابـن أبـي بـن سـلول ومـا صـنع في حلفائـه لقـد وقـف حتـى عفـا رسـول الله ﷺ عـنهم وأعطـاهم لـه وأجلاهـم عـن المدينـة ونحن لا نطمع في أكثر من ذلك .

رســـول الله ﷺ :

لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم .

رجـــل مـــن الأنصـــار :

إذن فلنرجع إلى المدينة وننعي إليهم خبر بني قريظة .

سعـــد بـــن معـــاذ " وقـــد وصـــل عنـــد رســـول الله " :

السلام عليكم يا رسول الله .

رســـول الله ﷺ :

وعليكم السلام يا سعد ، يا معشر الأوس ، قوموا إلى سيدكم .

رجـــل مـــن الأوس :

يقوم مسرعًا وينزل سعدًا من فوق الحمار وهو يقول :

أحسن في بني قريظة يا سعد .

رســـول الله ﷺ :

احكم فيهم يا سعد .

سعـــد بـــن معـــاذ :

الله ورسوله أحق بالحكم .

رســـول الله ﷺ :

قد أمرك الله أن تحكم فيهم .

علـــي بـــن أبـــي طالـــب :

يا سعد إن هؤلاء القوم نزلوا على حكمك .

سعـــد بـــن معـــاذ :

وحكمي نافذ عليهم .

علـــي بـــن أبـــي طالـــب :

نعم حكمك نافذ عليهم .

سعـــد بـــن معـــاذ :

وحكمي نافذ على المسلمين .

علـــي بـــن أبـــي طالـــب :

نعـــم .

سعـــد بـــن معـــاذ : " وأعرض بوجهه وأشار إلى ناحية رسول الله ﷺ

وعلى من ههنا . مثل ذلك

رســـول الله ﷺ يقـــول :

نعـــم وعليّ .

سعـــد بـــن معـــاذ :

يا بني قريظة ، أترضون بحكمي ؟

كعـــب بـــن أســـد :

نعم يا سعد ، نرضى جميعًا بحكمك ونحن الذين اخترنا ذلك .

سعـــد بـــن معـــاذ :

يا قوم ، إن الحكم هو ما حكم به الله .

فـــإني أحكـــم فـــيهم أن تقتـــل الرجـــال وتغـــنم الأمـــوال وتســـبى الـــذارى والنســـاء وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار.

رجـــل مـــن الأنصـــار :

إن الأنصار إخواننا ولنا معهم مثل ما لهم .

سعد بن معاذ :

إني أجبت أن يستغنوا عنكم .

رسول الله ﷺ :

لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات .

علي بن أبي طالب :

يا رسول الله إني أرى أن تحبس الرجال في دار بنت الحارث من بني النجار حتى تحفر لهم خنادق وتقتلهم فيها .

أبو بكر الصديق :

ولابد أن نجمع ما نجد في حصونهم من الحلقة والسلاح أولاً ، اذهب يا علي أنت ومن معك اجمعوا السلاح ونحن سوف نقوم بحبس هؤلاء وتقيدهم.

رسول الله ﷺ :

اذهبوا بالأسارى إلى دار أسامة بن زيد والنساء والذرية في دار ابنة الحارث النجارية .

أبو بكر الصديق :

نعم يا رسول الله ، لقد كانت هذه الدار معدودة لنزول الوفود من العرب.

علي بن أبي طالب " وقد جمع السلاح وعاد " :

يا رسول الله لقد وجدنا عندهم ألفًا وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفى رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجدنا أثاثا كثيرًا ، وأواني للخمر وكسرناها .

المشهد الثاني

" تنفيذ حكم الله في بني قريظة "

انطلق رسول الله ﷺ إلى المدينة وانطلق أساري بني قريظة والأغلال في أعناقهم ، والسلاسل يسحبون ، وقد نكسوا رؤوسهم خزيًا وما درؤا بحكم سعد ابن معاذ فيهم ولو كان قد بلغهم حكمه لانطلقت أصواتهم من الحناجر ولسالت الدموع على الخدود ، وحبس الأساري في دار أسامة بن زيد ووضع النساء والذرية في دار بنت الحارث وبات يهود بني قريظة ينظرون ما يفعل بهم .

عزال بن شمويل :

ماذا حكم علينا سعد بن معاذ ؟ أتدرون أنا سوف نخرج أحياء من المدينة ؟

نافع بن أبي نافع :

اسألوا كعب بن أسد ما الذي سيفعل بنا ؟ وماذا كتب علينا ، وما تراه يصنع بنا ؟

كعب بن أسد :

أفي كل موطن لا تفعلون أما ترون الداعي لا ينزع ، والذاهب فيكم لا يرجع ، هو والله القتل قد دعوتكم إلى غير هذا فأبيتم عليَّ وقد حفر الرسول ﷺ لسوق المدينة خنادق وجلس هو وأصحابه ينظرون مقتل بني قريظة .

سعد بن عبادة :

يا رسول الله إن الأوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حلفهم .

سعد بن معاذ :

ما كرهه أحد من الأوس فيه خير ، فمن كرهه فلا أرضاه الله .

الحبـاب بـن المنـذر :

ألم تكـن هـذه دعوتـك يـا سـعد حـين أصـبت في أكحلـك ؟ وقلـت : اللـهم لا تمـتني حتى ترينـي في بني قريظة حكمك .

أسيـد بـن حضيـر :

يـا رسـول الله لا تبـق دارًا مـن دور الأوس إلا فـرقتهم فيهـا ، ففـرق بعضـهم في دور الأوس ليضربوا أعناقهم .

سعـد بـن معـاذ :

اتركـوا علـي بـن أبـي طالـب يستعمل في رقـابهم السيف فهـم قـوم خونـة عرضـوا حياة المدينة والمسلمين لخطر داهم .

الحبـاب بـن المنـذر :

أتنسـى أننـا قـد أصبنا بالوحـل والرعـب والخـوف عنـدما علمنـا بنقضـهم العهـد لما شعرنا به من تهديد لحياتنا ؟

أسيـد بـن حضيـر :

ولكـن الله عـز وجـل نصـرنا علـى أعـدائنا وأرسـل علـيهم ريحًـا وجنـودًا مـن الملائكة فزلزلتهم ورَدَّهم مدحورين وردت كيدهم في نحرهم .

حيـي بـن أخطـب " وهم يجرونه حتى يقام عليه الحد " ينـادي :

يـا محمـد ، يـا محمـد ، أمـا والله مـا لمـت نفسـي في عـداوتك ولكـن مـن يخـذل الله يُخذل ، ومن يغالب الله يغلب .

الحبـاب بـن المنـذر :

هذا جزاء خيانتك وجبنك وعداوتك للإسلام ولرسول الإسلام .

حيي بن أخطب " وهو يقبل على الناس " :

أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كُتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضرب علي بن أبي طالب عنقه .

جبل بن جوال الثعلبي :

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه

ولكنه من يخذل الله يُخذل

لجاهد حتى أبلغ القوم عُذرها

وقلقل [1] يبغي العز كل مقلقل.

أبو بكر الصديق :

يا رسول الله ، أما لو ذهب الزبير بن العوام مع علي بن أبي طالب يساعده في قطع رقاب اليهود .

رسول الله ﷺ يقول : بلى .

كعب بن أسد " يؤتى به وهو يبكي واشتد عويل النساء وضرب الخدود " :

يا بني قريظة إنها الملحمة علينا .

رسول الله ﷺ " ينادي " : يا كعب .

كعب بن أسد : نعم يا أبا القاسم .

رسول الله ﷺ :

ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقًا بي أما أمركم باتباعي وإن رأيتموني تقرئوني منه السلام .

كعب بن أسد :

بلى والتوراة يا أبا القاسم ولولا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكني على دين يهود .

١- قلقل : تحرك

رسـول الله ﷺ :- "أضربوا عنقه" فإنه لا فائدة منه .

ودخلت امرأة من نسائهم يقال لها بنانة امرأة الحكم القرظي على عائشة أم المؤمنين وكانت جارية حلوة فأخذت تتحدث مع عائشة وتضحك ، وإذا بهاتف ينادي باسمها فقالت : أنا والله .

عائشة في دهشة تقول :- ويلك ؟ مالك ؟

بنانة :- سوف أقتل .

عائشة :- ولم ؟

بنانة :- قتلني زوجي .

عائشة :- كيف قتلك زوجك ؟

بنانة :

أمرني أن ألقي رحى على أصحاب محمد كانوا تحت الحصن مستظلين بجواره .

عائشة :- ولماذا ؟

بنانة :

كان بيني وبينه كأشد ما يتحاب الزوجان ، فلما اشتد أمر المحاصرة قلت لزوجي : يا حسرتي على أيام الوصال كادت أن تنقضي وتتبدل بليالي الفراق وما أصنع بالحياة بعدك ؟

فقال زوجي : إنك صادقة في دعوى المحبة تعالى فإن جماعة من المسلمين جالسون في حصن فألقى حجر الرحا لعله يصيب واحداً منهم فيقتله فإن ظفر وإلا فإنهم يقتلونك بذلك فألقيت عليهم حجر الرحا فأدركت خلاد بن سويد فشقت رأسه فمات وأنا أقتل به وخرجت للقتل .

وعائشة أم المؤمنين تعجب لطيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل .

المشهـــد الثالـــث

" موقـف نبيـل "

ظـل المسـلمون يراقبـون الموقـف الرهيـب ، وعلـي بـن أبـي طالـب والـزبير ابـن العـوام يسـتعملون السـيف في رقـاب بـني قريظـة ، وكـان الـزبير بـن باطـا القرظـي وكنينـة أبـا عبـد الـرحمن قـدمَن علـى ثابـت بـن قـيس بـن شمـاس في الجاهليـة يـوم بعاث أخذه فجز ناحيته ثم خلى سبيله فجاءه ثابت وهو شيخ كبير فقـال :

يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني من أنا ؟

" الزبيـر بـن باطـا " القرظي

وهل يجهل مثلي مثلك ؟

ثابـت بـن قيـس :

أتذكر يوم بعاث يوم أن عفوت عني .

الزبيـر بـن باطـا :

نعم ، وهل يُنسى هذا اليوم .

ثابـت بـن قيـس :

إني قد آن أن أجزيك بيدك عندي وفضلك عليَّ .

الزبيـر بـن باطـا :

إن الكريم يجزي الكريم . ولكن كيف يكون ذلك ؟

ثابـت بـن قيـس :

ولـما عرفـت أنـك أنـت ذهبـت إلى رسـول الله ﷺ وقلـت لـه يـا رسـول الله قـد كـان للزبير عندي يد وله عليَّ منَّة وقد أحببت أن أجزيه فهب لي ذمته .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

وماذا قال لك محمد ؟ أعرف أنه كريم ، ولولا قلة عقل بني قريظة لأسلمنا وآمنا به .

ثابـــت بـــن قيـــس :

قال لي رسول الله ﷺ هو لك .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

وماذا تريد مني يا قيس ؟

ثابـــت بـــن قيـــس :

إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك ولن يقتلك أحد .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟

ألم يهبك زوجي وأولادي وأهلي .

ثابـــت بـــن قيـــس " بعـــد أن أستأذن الرســـول ﷺ " :

قال لي الرسول ﷺ هم لك .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

أيرجى محمد أن يهبك أولادي وأهلي .

ثابـــت بـــن قيـــس :

نعم إن رسول الله ﷺ قد أعطاني امرأتك وولدك فهم لك .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟

ومن أين ننفق على أنفسنا ؟

ألم يهب لك محمد أموالنا ؟

ثابت بن قيس " وقد استأذن الرسول ﷺ في ماله " :

نعم يا أبا عبد الرحمن قد وهب لك مالك فهو لك .

الزبير بن باطا :

يا ثابت ، إني أسألك عن بني قريظة ، ماذا حدث لهم ؟

ثابت بن قيس :

ولماذا ؟ إن الرسول ﷺ قد أعتقك من القتل .

الزبير بن باطا :

أي ثابت ، ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحمى، كعب بن أسد القرظي .

ثابت بن قيس :

قتل . قتله علي بن أبي طالب .

الزبير بن باطا :

فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب ؟

ثابت بن قيس :- قتل .

الزبير بن باطا : ما فعل المجلسان ؟

ثابت بن قيس :

تقصد بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة .

الزبير بن باطا :

نعم ومن غيرهم .

ثابت بن قيس :

ذهبوا وقتلوا .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

وهل قتلت النساء والذرارى " أي الأطفال " ؟

ثابـــت بـــن قيـــس :

لم تقتل النساء ولا الذرارى .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

وهل قتل محمد بن كعب القرظي وعطية بن كعب القرظي ؟

ثابـــت بـــن قيـــس :

ذكرت لك أنهم تركوا من الصبيان كل من يبلغ الحلم .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

ولم يترك أحد من الغلمان ممن بلغ الحلم .

ثابـــت بـــن قيـــس :

رفاعة القرظي قد بلغ الحلم وتركوه .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

ولماذا ترك هذا الغلام ؟

ثابـــت بـــن قيـــس :

لأنه لجأ إلى سلمى بنت قيس أم المنذر ، لأنها إحدى خالات جده عبد المطلب .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

وماذا فعلت له سلمى ؟

ثابـــت بـــن قيـــس :

قالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لي رفاعة فوهب لها فألقى الله في قلبه أنوار اليقين فأسلم وجهه لله رب العالمين .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

لم يتركوا أحدًا من الرجال قط .

قيـــس بـــن ثابـــت :

قلت لك لم يتركوا أحدًا من الرجال غيرك .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

فـإني أسـألك بيـدي عنـدك وفضـلي عليـك يـا ثابـت إلا ألحقـتني بـالقوم ، فـوالله مـا في العـيش بعـد هـؤلاء خـير أأرجـع إلى دار قـد كـانوا حلـولاً فيهـا فأجلـد فيهـا بعـدهم لا حاجة لي فيها إلْحَقَنّ بهم فلست معابرًا عنهم إفراغة دلو حتى ألقى الأحبة .

ثابـــت بـــن قيـــس :

ما كنت لأقتلك .

الزبيـــر بـــن باطـــا :

لا أبالي من قتلني .

فقتلـه الـزبير بـن العـوام ، ولمـا بلـغ أبـا بكـر مقالتـه " ألقـى الأحبـة "قـال : يلقـاهم والله في نار جهنم خالدًا فيها مخلَّدًا .

المشهد الرابع

موت سعد بن معاذ
وتوبة أبي لبابة بن المنذر

وكان سعد بن معاذ ينظر إلى قتل بني قريظة وهو راضى النفس ، فإنه لما أصيب بالسهم في الخندق قال يناجي ربه :

لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وقد أقر الله عينه وشفي صدره فلم يعد يحفل على أي جنب يموت .

وانفجر جرح سعد بن معاذ وسال الدم منه واحتضنه الرسول ﷺ فجعلت الدماء تسيل على رسول الله ﷺ ومات سعد بن معاذ وحمل من خيمته في المسجد إلى منزله ليغسل ويكفن .

وراح أشراف الرجال يحفرون قبر سعد بن معاذ سيد قومه الأوس وفي القلوب حسرة وفي الحلوق مرارة وفي العيون دمع .

وحمل نعش سعد وكان جسيماً فلم يستشعر الذين حملوه ثقله فالحزن الذي نزل بالأفئدة كان ثقيلاً ، أنسى الرجال وطأة الجسم الثقيل الذي كانوا يحملونه .

ودفن سعد ورسول الله ﷺ ينظر وقد ظهر في وجهه الأسى العميق ومن حوله صحابته من الأنصار والمهاجرين ، فسبح رسول الله ﷺ ، فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه وجاءت أم سعد بن معاذ ونظرت إليه في اللحد وقالت :

أحتسبك عند الله يا سعد " وهي تبكي "

علـــي بـــن أبـــي طالـــب كـــرم الله وجهـــه :

يا رسول الله إن أم سعد تنتحب وتبكي عليه بكاء مريرًا .

رســـول الله ﷺ " وهـــو واقـــف على قدميـــه علـــى القبـــر "

أعظم الله أجرك يا أم سعد .

علـــي بـــن أبـــي طالـــب :

أما تقول لأم سعد شيئًا ؟

رســـول الله ﷺ :

إن سـعد بـن معـاذ اهتـز لموتـه عـرش الـرحمن وشـهده سـبعون ألفًـا مـن الملائكـة ومع ذلك فقد ضمه القبر ضمةً ثم صفح عنه .

الزبيـــر بـــن العـــوام :

أللقبر ضمة يا رسول الله ؟

الرســـول ﷺ :

والله إن للقبر ضمة .

أم سعـــد بـــن معـــاذ :

تنوح وتبكي عليه .

رســـول الله ﷺ :

كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ .

علـــي بـــن أبـــي طالـــب :

وقـد رخـص الرسـول ﷺ لأم سـعد فقـط أن تنـوح علـى ولـدها أمـا غيرهـا فـلا يجـوز لها ذلك ، لأنها إذا فعلت فهي في النار.

ودفن رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وعاد إلى المدينة فاستقبله المسلمون بالتكبير ونداء النصر.. ودخل ﷺ المسجد ليصلي ركعتين لله شكرًا قبل أن يتجه إلى دار ابنته فاطمة الزهراء ليحيى أهل بيته قبل أن يدخل على نسائه فوجد أبا لبابة لا يزال مربوطًا بسلاسل إلى عمود قريب من دار أم سلمة . فهو ينتظر أمر الله فيه .

أبــو بكــر الصديــق :

أما لو فككته يا رسول الله .

أبــو لبابــة :

والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت ، أو يتوب الله عليّ .

الزبيــر بــن العــوام :

هيا بنا يا قوم إلى منازلنا فإن الحر شديد وأبو لبابة لا يريد من أحد أن يفكه لعل الله أن يتوب عليه .

أبــو لبابــة :

نعم لعل الله ينزل في شأني قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة وأنا واثق من توبة الله علي ، فما أنا بالذي يقنط من رحمة ربه فوالله إنه يغفر الذنوب جميعًا .

محمــد بــن مسلمــة :

يا رسول الله إن ريحانة بنت عمرو بن قريظة التي كانت قد أبت أن تدخل في الإسلام وعزلتها قد رغبت في الإسلام وأسلمت وأعلنت الشهادة أمامنا .

رســول الله ﷺ :

الحمد لله ، فقد كنت أشعر أنها سوف تدخل الإسلام .

علـــي بـــن أبـــي طالـــب :

أمـــا لـــو أعتقتهـــا يـــا رســـول الله ، ثـــم إذا اســـتبرأت مـــن حيفتهـــا بنيـــت عليهـــا وتزوجتها أنت يا رسول الله .

رســـول الله ﷺ :

نعـم سـأفعل ذلـك .. وأصـدقها اثنتـى عشـرة أوقيـة ، وقـام رسـول الله ﷺ ودخـل بيـت أم سـلمة حتـى إذا مـا قـرب وقـت السـحر سمعـت أم سـلمة رسـول الله ﷺ يضحك .

أم سلمـــة :

مم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك ؟

رســـول الله ﷺ :

تيب على أبى لبابة ونزل في شأنه قرآن .

أم سلمـــة :

وماذا أنزل الله عزوجل ؟

رســـول الله ﷺ :

يقول الله تعالى :

﴿ ﴿١٠٢﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [1]

أم سلمـــة :

قبل الله منه ندمه يا رسول الله .

١- سورة التوبة آية ١٠٢.

رســـول الله ﷺ :

نعم .

أم سلمـــة " وهـي تهلل بالفـرح والسـرور " :

أفلا أبشره يا رسول الله ؟

رســـول الله ﷺ :

بلى إن شئت .

أم سلمـــة " وقامـت على باب حجـرتها وقالـت ":

يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك .

فاطمـــة الزهـراء " وقد سمعـت ما قالته أم سلمـة " :

أبشر يا أبا لبابة فقد تاب الله عليك ولن يفك وثاقك أحد غيري .

أبـــو لبابـــة :

لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده .

رســول الله ﷺ " بلغـه ذلك فقـال " :

"فاطمة بضعة مني"

وخرج رسول الله ﷺ ليصلي الصبح وفك وثاقه .

أبـــو لبابـــة :

مـن تمـام تـوبتي أن أهجـر دار قـوم أصـبت فيهـا الـذنب وأن أخلـع مـن مـالي وأتصدق به كله .

الرســـول ﷺ :

يكفيك الثلث أن تتصدق به .

ولم يأمره ﷺ أن يهجر تلك الدار التي أصاب فيها الذنب .

المشهـــد الخامـــس

مقتل سلام بن أبي الحُقيق

انتهى الرسول ﷺ من غزوة بني قريظة وتخلص من تلك الفئة الخائنة ولكن المعركة لم تنته بعد مع اليهود ، فإن الحصون ما زلت لأن بعض الذين ألبوا الأحزاب على الإسلام وأهله لا يزالون.. وليس يؤمن لليهود شر ما بقيت لهم قدرة على فعل الشر..

فكان سلام بن أبي الحُقيق وكنيته أبو رافع من أكابر مجرمي اليهود الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة .

فلما فرغ الرسول من غزوة بني قريظة استأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتله فقد قتلت الأوس كعب بن الأشرف من قبل وقد نالوا هذا الشرف العظيم ، فلابد للخزرج من قتل هذا العميل فأذن الرسول ﷺ لقتل ابن أبي الحُقيق خمسة من الخزرج هم عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربعي ، وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم واستأذنوا رسول الله ﷺ في أن يتكلموا بما يسهل لهم مأموريه قتله فأذن لهم وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وأمرهم أن لا يقتلوا وليدًا ولا امرأة .

فخرجوا حتى قدموا خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل جاءوا إلى منزله وأرسلوا عبد الله بن عتيك لأنه كان يتكلم باليهودية .

عبد الله بن عتيك " يقول لأصحابه " :

امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر لأن الخدم قد فقدوا حمارًا لهم وقد خرجوا يبحثون عنه وسوف أغطي رأسي وأحتال حيلة عليهم كأني أقضي حاجة .

البـــواب :

من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلق الباب .

عبـد الله بـن عتيـك " يدخـل وينظـر بجـوار البـاب " :

سوف أجلس هنا قليلاً .

البـواب :

ادخل إلى داخل البيت أيها الرجل .

عبـد الله بـــن عتيـك " يقـول في نفســه " :

لقـد رأيـت أيـن وضـع البـواب المفـاتيح فأمكـث قلـيلاً حتـى ينـام وآخـذها وأفتح الباب وآتى ببعض أصحابي .

البـــواب :

وقد استغرق في نومه .

عبـد الله بـن عتيـك " يفتـح البـاب وينـــادي بصـوت منخفـض " :

تعال يا مسعود بن سنان .

مسعـود بـن سنان " يأتي مسرعاً " :

أنام القوم جميعاً ؟

عبـد الله بـن عتيـك :

لقد نظرت فإذا معه أقوام يسهرون فلننتظر قليلاً حتى يذهبوا إلى بيوتهم .

مسعـود بـــن سنـــان :

انظر إنهم ينصرفون الآن .

عبـد الله بـن عتيـك :

نعم ، هيا بنا إنه ينام في الدور العلوي .

مسعـود بـن سنـان :

هيـا نمـر علـى جميـع أبـواب الغـرف فنغلقهـا حتـى إذا شـعر بنـا أحـد لا يستطيعون الخروج.

عبـد الله بـن عتيـك :

هيا بنا نصعد ، وندخل عليه في حجرته ، فإن جميع المصابيح قد أطفئت.

مسعـود بـن سنـان :

ننادي عليه حتى نعرف أين هو.

عبـد الله بـن عتيـك :

يـا أبـا رافـع .

سـلام بـن أبـي الحُقيـق :

مـن هـذا ؟

مسعـود بـن سنـان :

إنه هو هذا الرجل الأبيض اعمد إليه واضربه .

عبـد الله بـن عتيك " يضـع سيفـه فـي بطنـه " :

يا عدو الله مت .

سـلام بن أبي الحقيق :

قطنى قطنى " يكفيني يكفيني " .

عبد الله بن أنيس " وكان قد دخل هو الآخر " :

مالك يا أبا رافع .

سلام بـن أبـي الحقيـق :

لأمك الويل ، دخل عَليَّ رجل فضربني بالسيف .

عبد الله بن أنيس :

أضربك هكذا وضربه ضربة شديدة .

سلام بن أبي الحقيق " يصيح بأعلى صوته " :

قتلوني ..قتلوني .

زوجته :

قتلت يا أبا رافع .. قتلت يا أبا رافع .

عبد الله بن عتيك :

هيا بنا يا قوم لقد مات الرجل .

عبد الله بن أنيس :

يا مسعود لقد سقط عبد الله بن عتبك من فوق السلم فتعال نحمله ..

مسعود بن سنان :

كيف نعلم أن عدو الله مات ؟

عبد الله بن أنيس :

اذهب أنت وعبد الله بن عتيك ، وأنا أرجع لأرى لكم ..

عبد الله بن عتيك :

هيا بنا نلحق بالقوم ، فلقد خرج اليهود يحملون المشاعل وسوف يعثرون علينا ويقتلوننا .

وعاد عبد الله بن أنيس فوجد امرأة ابن أبي الحقيق تنظر في وجهه وفي يدها المصباح ورجال يهود حوله وهي تحدثهم وتقول :

أما والله لقد سمعت ابن عتيك ، ثم أكذبت نفسي، ثم أقبلت تنظر في وجه زوجها ثم قالت : فاضت وإله يهود.

عبد الله بن أنيس " يقول في نفسه " :

الحمد لله .. والله ما من كلمة ألذ إلى نفسي من هذه الكلمة " فاضت وإله يهود " وعاد إلى الرجال ، فوجد ابن عتيك قد عصب رجله وجلس .

عبد الله بن عتيك :

لا أخرج الليلة حتى أعلم أني قتلته أولاً .

خزاعي بن أسود :

هيا بنا يا عبد الله فقد أذن الديك .. وها هو قام الناعي على سور خيبر اسمع إليه وهو يقول : أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز ، وعادوا إلى رسول الله ﷺ ولما رآهم قال :

أفلحت الوجوه .

عبد الله بن عتيك :

أفلح وجهك يا رسول الله ، أنا قد قتلته .

عبد الله بن أنيس :

أنا يا رسول الله الذي قتلته .

رسول الله ﷺ :

هاتوا أسيافكم ونظر فيها وقال : هذا قتله أرى فيه أثر الطعان وهو سيف عبد الله بن أنيس .

أهم المراجع والمصادر

أسم المرجع	أسم المؤلف	الطبعة	سنة النشر	الناشر
أولاً : القـــرآن الكـــريم				
ثانياً :				
١- تفسـير ابـن كـثير	لابـن كـثير.	الأولى	١٩٨٣	دار زهـران
٢- الجامع لأحكام القرآن .	القـرطبي .	الأولى	١٩٨٧	دار الفكـر
٣- فـتح القـدير.	لابـن كـثير.	الأولى	١٩٦٥	مكتبـة الحلـبي
٤- تفسـير النسـفي .	عبد الله النسفي.	الأولى	١٩٦٨	مكتبة محمد علي صبيح
٥- السـيرة النبويـة .	أبـو محمـد عبـد الملك بـن هشام .	الأولى	١٩٧٢	مؤسسة مختـار
٦- السـيرة النبويـة.	السيد أبو الحسن النـدوى .	الأولى	١٩٨١	دار عمر المختار.
٧- محمـد رسـول الله والـذين معـه.	عبد الحميد جوده السـحار.	الأولى	١٩٧٧	دار مصـر
٨- الروض الأنف في تفسير سـيرة ابـن هشـام .	عبـد الـرحمن الختعمـى .	الأولى	١٩٧٢	مؤسسة مختـار
٩- صور من حياة الرسول	وزارة الأوقـاف المصـرية.	الأولى	١٩٩٦	الإدارة العامـة لمراكـز الثقافـة الإسلامية .

تابع أهم المراجع والمصادر

أسم المرجع	أسم المؤلف	الطبعة	سنة النشر	الناشر
١٠- رياض الصالحين .	للنووي	الأولى	١٩٨٣	دار التراث العربي
١١- تفسير آيات الأحكام.	محمد علي الصابوني.	الأولى	١٩٧١	دار الغزالي .
١٢- الرحيق المختوم .	صفي الرحمن المباركفوري.	الأولى	١٩٩٩	الإيمان المنصورة
١٣- مختصر تفسير ابن كثير	محمد علي الصابوني	الأولى	١٩٧٧	دار الصابوني
١٤- مناهل العرفان في علوم القرآن .	عبد العظيم الزرقاني .	الأولى	١٩٨٠	مطبعة الحلبي
١٥- البداية والنهاية .	ابن كثير.	الأولى	١٩٣٢	السعادة مصر.
١٦- فقه السيرة.	الغزالي .	الأولى	١٩٧٧	دار الكتاب العربي.